في المغرب الأقصى، هذا الواقع حتم عليها التوجه نحو جنوب الصحراء الكبرى، بحثا عن حاجياتها من جهة، ولتصريف منتوجاتها المحلية، وما يأتيها من أوربا عبر موانئها المتوسطية. ونظرا لما تقتضيه التعاليم الإسلامية من معاملات مالية إسلامية، وممارسة التجار المسلمين لشعائرهم الدينية أينما حلوا، واضطرار بعضهم للزواج في البلدان التي يقصدونها، تعرف سكان إفريقيا جنوب الصحراء على الدين الإسلامي، وتأثروا به تدريجيا؛ الأمر الذي أدى بالكثير منهم إلى اعتناق هذا الدين(القلقشندي، 1922، ج5، ص279. ابن عذاري، 1980، ج1، ص228).

لقد انتشر الإسلام بهذه الربوع، حيث تمر القوافل التجارية المتجهة إلى غرب إفريقيا؛ إذ بلغت الدعوة الإسلامية السنغال وغانة وداهومي ونيجيريا، وتحول معتنقو الإسلام الجدد إلى دعاة له أثناء رحلاتهم راجلين إلى الحج كل سنة، مخترقين بلاد السودان من غربها إلى شرقها، وقد زاد الإسلام انتشارا في غرب إفريقيا خلال القرن الخامس هجري بفضل جهود المرابطين، حيث أصبح دين الأغلبية (بدوي عبد الرحمن، 1979، ص144)، ومن الشواهد التي تبين دور التجار في التعريف بالإسلام ونشره بإفريقيا جنوب الصحراء، ما ذكره البكري (487هـ) عن تمكن تاجر مسلم من بلاد المغرب، من إقناع ملك غانا بدخول الإسلام، لكنه لم يشر لا لاسم التاجر، ولا لاسم الملك (البكري، دت، ص178)، أما الدرجيني (ت 670هـ)، فقد أكد ما جاء به البكري، وأوضح أن التاجر الذي أدخل ملك غانا إلى الإسلام، هو جد والده علي بن يخلف النفوسي، الذي ينحدر من بلدة نقطة بجنوب تونس(الدرجيني، 1974، ج2، ص517)، ومما من شك أن استهداف ادخال الملوك وزعماء القبائل إلى الإسلام، كان الغرض من ورائه هو أن يكون قدوة لرعيته ومرؤوسيه ليحذون حذوه في اعتناق هذا الدين، وهي الاستراتيجية التي كان قد اعتمدها الفاتح أبو مهاجر دينار مع كسيلة زعيم قبيلة أوربة البربرية، أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مطلع النصف الثاني من القرن الأول للهجرة. كما لعبت الجاليات الإسلامية التي جاءت من جنوب آسيا كالهند، واستقرت في معظم الأجزاء الجنوبية للقارة بين رأس الرجاء الصالح في أقصى الجنوب إلى كينيا شمالا، دورا هاما في نشر الإسلام بهذه المناطق(أرنولد طوماس، 1970، ص390).

4. أثر انتشار الإسلام في إفريقيا :

بعد انتشار الإسلام في إفريقيا جنوبي الصحراء، ساهم الأفارقة أنفسهم في نشر الدعوة والعلوم الإسلامية، وذلك برحلاتهم إلى الحج أو لطلب العلم في مراكزه المشهورة كالقيروان وفاس والأزهر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، فنهضت بلادهم وساهمت بدورها في تسهيل الرحلة وحسن استقبال الوافدين وتيسير سبل العلم، فازداد التبادل التجاري بين الأفارقة السود وغيرهم من المسلمين، مما وثق الروابط أكثر، فبرزت مدن إفريقية وذاعت شهرتها وتجاوزت الآفاق، مثل تمبكتو التي أصبحت مركزا للتعليم ونشر الثقافة الإسلامية، حيث انتشر المرابطون في قراها يعلمون القرآن واللغة العربية. وبهذا لم تعد تمبكتو فضاء تجاريا فقط وإنما مركز إشعاع للدعوة الإسلامية(الشنقيطي، 1983، ص254).

لقد كان لرحلات الحج أثر بالغ في تمتين واستمرار العلاقة بين شعوب الصحراء الكبرى ومركز العالم الإسلامي في مكة والمدينة، حيث ساهمت الرحلة في تصحيح الأفكار والعقائد الفاسدة لدى بعض القبائل، كما كانت الرحلة عموما وسيلة لرفع المستوى الثقافي وتطوير العمران، إذ مكنت الأفارقة من الاتصال بالعلماء والمهندسين واصطحابهم إلى بلادهم لتطويرها، حيث غلب الطراز العمراني الأندلسي على تمبكتو، مجسدا في المساجد والدور والقصور(حسن ابراهيم حسن، 1984، ص225).

بفضل انتشار الإسلام في إفريقيا، أصبحت اللغة العربية لغة التواصل الأساسية بين قبائل إفريقيا جنوبي الصحراء. وظل الحرف العربي هو الأساسي في كتابة معظم اللغات الإفريقية، بل